اللغة الآرامية في العصر البابلي الحديث

في سنة 626 ق.م أعلن نبو بلا صر نفسه ملكا على بابل بعد تمكنه من طرد الأشوريين ومن ثم القضاء على حكمهم بعد ان سقطت نينوى عاصمة حكمهم على يديه في سنة 612 ق.م. ، ونبوبلاصر ينتمي الى قبيلة آرامية تدعى كلدو ، وفي هذا العهد اصبح من العسير التفريق بين البابليين والآراميين ، فقد اختلط الجميع وتمازجوا بقوة وعمق في اطار ثقافة مزدوجة بابلية وآرامية فانتشرت اللغة الآرامية وعاشت اوج ازدهارها ، الاّ اننا نجد الكتابات المسمارية في ذلك العهد كثيرة إذا ما قورنت بالكتابات الآرامية، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى أن اللغة الآرامية كانت تكتب على لفائف البردي وعلى الجلود، وهذه العناصر تتأثر بالمتغيرات البيئية ، في حين أن اللغة الاكدية كانت تكتب على رقم الطين المفخورة ، وهي بطبيعة الحال لا تتأثر بالمتغيرات البيئية ، ومع هذا فقد عثر في سبار وفي بابل وفي مواقع اخرى تعود الى عهد نبوخذنصر ونبونائيد على كتابات آرامية الى جنب الكتابات المسمارية ، كما وجد في بابل طابوق استخدم في تشيد المباني الرسمية لنبوخذنصر يحمل كتابات مسمارية وأخرى آرامية ، وهذه أشارة مهمة نستدل منها على سير اللغة الآرامية ردحاً من الزمن إلى جنب اللغة الأكدية .

وفي عهد نبوخذ نصر(605- 562م) تم القضاء على مملكة يهوذا الجنوبية وتم ترحيل سكانها اليهود إلى بابل وماحولها ، خلال حملتين ، الأولى سنة 597 ق.م، والثانية 587ق.م. ، وقدرت اعداد اليهود المرحّلين بـ(62000- 70000) من الرجال والنساء ، وقد وعثر خلال التنقيبات في نفر على العديد من الرقم الطينية - وهي محفوظة الآن في المتحف العثماني باسطنبول- تعود إلى أيام الملوك الاخمينيين ارتحشستا الأول وداريوس الثاني (464- 405ق.م) تذكر أن عدداً كبيراً من اليهود المرحلين استقروا في نفر وما حولها. وان هذه الأعداد الكبيرة من اليهود خالطت البابليين وتعلمت اللغة الارامية التي يبدوا انها كانت شائعة انذاك ، لذا فان كهنتهم قد كتبوا بعض اسفار التوراة العبرية باللغة الارامية ، وقد ذكر هاري ساكز في كتابه "عظمة بابل" : أن من مزايا اللغة الآرامية في العهد البابلي أنها كانت اللغة الأم لمجموعة من الأجناس البشرية أكثر انتشاراً من مجموعة المتكلمين باللغة الأكدية. وفي هذا اشارة واضحة الى انتشار وهيمنة اللغة الارامية في العصر البابلي الحديث .

وفي سنة 539 قبل الميلاد سقطت بابل على أيدي الفرس الأخمينيّن ، واستولى الاخمينيون على مقاليد الحكم في بلاد الرافدين ، فأفل نجم اللغة الأكدية لغة البلاد الرسمية بخطها المسماري ، وأضحت اللغة الآرامية هي اللغة الرسمية للملكة الأخمينية الجديدة ، بعد أن

أعلن داريوس رسميا ان اللغة الآرامية لغة عامة للملكة مترامية الأطراف، والتي امتدت في عهده (521- 485ق.م) من نهر النيل إلى نهر الأندوس، مقسمة إلى مقاطعات ترتبط جميعها بالسلطة المركزية في شوشانا عاصمة ملكهم ، ومن الضروري، لإدارة تحكم بلداناً مختلفة الأجناس والألسن أن تكون لها لغة رسمية هي اللغة الدولية.

وقد حلت الآرامية محل لغات أخرى غير الأكدية كالعبرية والفينيقية ، وتوغلت جاليات آرامية اللسان في العصر الأخميني وراء حدود أرض الرافدين فوجدت نقوش آرامية في أماكن مختلفة من أسيا الصغرى، مثل كيليكيا وليديا وفارس .

وفي مصر عثر على وثائق كتبت بالآرامية ، تعود إلى القرن الخامس ق.م. ، تشير إلى وجود مستوطنة يهودية على هيأة حامية عسكرية أُنشئتْ على الحدود الجنوبية المصرية في جزيرة في النيل، تعرف بجزيرة الفيلة.

وقد كشفت لنا رسالة كتبت بالآرامية بعثها رجل مصري يدعى (فحيم) إلى موظف فارسي يدعى (ميترا واهيت) أن المصريين طيلة الحكم الأخميني كانوا يراسلون السلطات الفارسية باللغة الآرامية ، وهذا يعني أن اللغة الآرامية كانت هي اللغة الدولية آنذاك ، فكلا المتراسلين كانت له لغة خاصة (مصرية وفارسية)، ونراهما تراسلا بلغة أخرى معروفة لكليهما، هي الآرامية ، كما في وقتنا الحاضر، فالعربي يراسل الإيطالي أو الألماني باللغة الإنجليزية ، لأنها اللغة الدولية حاليا.

وفي عهد كورش الأخميني سُمح لليهود المرحلين بالعودة إلى وطنهم أورشليم واعادة بناء هيكلهم الذي دمره نبوخذنصر، وحملوا معهم جميع الآنية المقدسة لهيكل سليمان التي غنمها الجيش البابلي ، فعاد كثير من اليهود يتزعمهم عزرا الكاهن ، الذي كتب أخبار العودة و إعادة بناء الهيكل باللغة الآرامية في "سفر عزرا".

وفي أيام داريوس عُين دانيال (وهو من انبياء بني اسرائيل الذي جيء به مع اليهود المرحلين الى ارض بابل) أول الوزراء الثلاثة في مملكة الأخمينيين وكان مشرفا على مائة وعشرين مرزبانًا، أي والياً ، عُهد اليهم تدبير شؤون المملكة ، وقد كتبت أخبار دانيال النبي ورفاقه وما حدث لهم منذ أن جيء بهم إلى بابل في سفر دانيال .وقد كتب هذا السفر بلغتين: جزء منها بالآرامية وتبدأ من الإصحاح الثاني الآية الرابعة إلى الإصحاح السابع الآية الثامنة والعشرين ، أما بقية السفر فقد كتب بالعبرية. ومن المحتمل أن يكون السفر قد كتب كله بالآرامية، ثم نقلت بدايته ونهايته إلى العبرية لتسهيل دمجه في مجموعة أسفار العهد القديم.